مجلة الرائد

العدد : ١٨١ الموافق في صفر ١٤١٧ هجري ٦ / ١٩٩٦ ميلادي

عنوان المقال : تـــركـــيـــا ... إلـــى أيـــن ؟	بقلم : صلاح الدين النكدلي

توطئة:

تصدَّر حزب الرفاه بزعامة الأستاذ نجم الدين أربكان قائمة الأحزاب ، التي فازت في انتخابات كانون أول - ديسمبر ١٩٩٥ ، والتي أسفرت عن توزيع القوى السياسية بطريقة تجعل تشكيل حكومة ائتلافية من أعسر المهام ، نظراً لاختلاف المشارب وتباين المصالح والأهواء. ولم تخف الأحزاب العلمانية التركية -قبل الانتخابات وبعدها- تخوُّفها من التوجهات الإسلامية لحزب الرفاه ، وأظهرت رغبتها في عرقلة مساعي أربكان الرامية إلى تشكيل حكومة ائتلافية ، ونادت بضرورة اجتماع العلمانيين على قواسم مشتركة وتكوين ائتلاف بعيداً عن حزب الرفاه.

وأخفق الائتلاف بين حزب الوطن الأم برئاسة مسعود يلماظ وحزب الطريق القويم برئاسة تانسوتشيللر ؛ فعادت الأمور إلى ما كانت عليه في أعقاب الانتخابات... وكُلِّف حزب الرفاه من جديد بتشكيل الحكومة.

حزب الرفاه في سطور:

- في آذار- مارس ١٩٢٤ أعلن كمال أتاتورك الجمهورية العلمانية ، وباشر في سنِّ القوانين التي تنفي الدين من مؤسسات الدولة وحياة المجتمع. ثم جاء خلفه عصمت اينونو - في تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٣٨ - فسار على نهج سلفه.
- في عام ١٩٥٠ وجد الحزب الجمهوري - الذي أسسه أتاتورك - نفسه مضطراً ، بتأثير ضغوط جماهيرية ، إلى إجراء انتخابات عامة... فآلت مقاليد الحكم إلى الحزب الديمقراطي بزعامة محمود جلال بايار... وكان هذا الحزب مكوناً من تيارات ورؤى متعددة... كانت متفقة على أن ما صنعه أتاتورك غير مقبول ، وأن على تركيا الاعتزاز بهويتها الشرقية وانتمائها الإسلامي.
- صار بايار رئيساً للجمهورية ، وأسند رئاسة الوزراء إلى عدنان مندريس... وتمكن الحزب الديمقراطي - الذي حكم من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٠ - من إحداث تغييرات خفَّفت من غلواء الاتجاه العلماني الأتاتوركي ، وسمحت للدين بهامش من الحركة العلمية والسلوكية.
- وفي نيسان-أبريل ١٩٦٠ انقض الجيش على السلطة متهماً حكومة مندريس بخيانة مبادئ

الجمهورية... وأعدم العساكر عدنان مندريس وزجوا برئيس الجمهورية في غياهب السجن ، وحاربوا كل من يشكون بانتمائه الإسلامي ، أو برفضه لعلمانية أتاتورك ، وخاصة في أجهزة الدولة.

- وفي عام ١٩٦١ سمح العساكر بتكوين الأحزاب وإجراء انتخابات... قاصدين بذلك إظهار قيادات جديدة علمانية النزعة... وما يزال بعضهم موجوداً في دائرة الضوء إلى يومنا هذا ، مثل: ديميريل وأجاويد.
- في أواخر الستينات انتسب نجم الدين أربكان ومجموعة من المثقفين ذوي النزعة الإسلامية إلى حزب العدالة ، وكان زعيمه سليمان ديميريل ، وحين اقترب موعد الانتخابات التشريعية عام ١٩٦٩ رأى ديميريل أن يتخلص من أربكان ومجموعته... فرشحوا أنفسهم مستقلين وحققوا نجاحاً كبيراً.
- رأت مجموعة أربكان أن الوقت ملائم للإعلان عن حزب خاص بهم... فأسسوا « حزب النظام الوطني » في ١٩٧٠/١/٢٦ ، وحددوا لأنفسهم إطاراً عاماً قدَّروا أنه يجنبهم الصدام مع القوى العلمانية ، وخاصة المؤسسة العسكرية ، وقرروا:
  - الابتعاد عن نقد الدستور وعن النيل من أتاتورك.
  - الاعتراف بعلمانية محايدة لا تعادي الدين.
  - التركيز على حل مشكلات الشعب الاجتماعية والاقتصادية.
  - الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة.
  - المناداة بفكرة التصنيع.
- في آذار- مارس ١٩٧١ تحرك الجيش... فجمَّد الحياة السياسية ، وحلَّ « حزب النظام الوطني » بدعوى أنه خالف الدستور العلماني ، وبات يشكل خطراً على الجمهورية ، وحكم على زعامته بالابتعاد عن الحياة السياسية مدة خمسة أعوام.
- في عام ١٩٧٢ تخلى الجيش عن السلطة ، وسمح بتشكيل الأحزاب ، فتقدمت فئة من مجموعة أربكان وأسست حزباً جديداً هو « حزب السلامة الوطني » ، وكان ذلك في ١٩٧٢/١/١١.

خاض حزب السلامة الوطني انتخابات ١٩٧٣ وحصل على ٤٩ مقعداً في البرلمان - ١٢% من أصوات الناخبين - فكان ثالث حزب في البلاد ، وهذا منحه إمكانية التحكم في عملية الائتلاف التي كانت الأحزاب مضطرة إليها لتشكيل الحكومات ، فشارك الحزب في عدة وزارات ، وشغل أربكان نفسه منصب نائب رئيس الوزراء أكثر من مرة

- قاد كنعان ايفرين انقلاب المؤسسة العسكرية في سنة ١٩٨٠... فألغى الأحزاب ، وسجن زعماءهم ، بحجة تدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية ، وبروز مقدمات الخطر على العلمانية والجمهورية.
- في عام ١٩٨٣ سمح النظام العسكري بتكوين الأحزاب... فسارعت مجموعة أربكان إلى تكوين

حزب باسم « حزب الرفاه ». خاض الرفاه جولات الانتخابات البلدية والتشريعية منذ تأسيسه وحقق تقدماً مضطرداً.

- دفعت الانتخابات البلدية لعام ١٩٩٤ بحزب الرفاه إلى ساحة الاهتمام العالمي والإقليمي والمحلي... نظراً لفوزه في أكثر من ٤٠٠ بلدية... كان أهمها بلدية أنقرة وبلدية اسطنبول (اسلامبول)... ومثلت هذه الانتخابات إرهاصاً بتزايد شعبية الرفاه.
- وجاءت نتائج الانتخابات التشريعية في كانون أول - ديسمبر ١٩٩٥... ففاز حزب الرفاه بـِ ١٥٨ مقعداً ، وهذا الرقم يمثل خُمس أعضاء المجلس التشريعي.

المستقبل ابن الحاضر

سأذكر أهم العقبات والعوامل المؤثرة على المعادلة التركية الآن... والتي تساعدنا في تقدير توقعات المستقبل.

أولاً: **من العقبات الداخلية:**

١- المؤسسة العسكرية: يمثل الجيش ، في تركيا وغيرها من بلاد المسلمين ، تحدياً كبيراً للقيادات والحركات والجماعات السياسية: وقد بيَّن رئيس الأركان الحالي موقف مؤسسة الجيش من توجهات حزب الرفاه بقوله: « إن الجيش سيحمي النظام الجمهوري بأسسه الديمقراطية العلمانية » وحزب الرفاه يدرك موقع الجيش في المعادلة التركية ، وسيعمل على تحاشي الصدام معه ، وهذا سيؤثر على صيغة ممارسة السلطة ، فيما إذا تمكن الرفاه من تشكيل ائتلاف حكومي.

٢- الأحزاب والتيارات العلمانية: والتي فازت بـِ ٧٨% من أصوات الناخبين تقريباً. وهذا الرقم يفيد أن القوى السياسية الأخرى ما تزال قوية وتحظى بدعم جماهيري كبير. صحيح أنها منقسمة ومتخاصمة ، ولكن الائتلاف مع بعضها سيفرض على حزب الرفاه صيغاً ترضيها... وأهمها الصيغة العلمانية للدولة.

٣- التيارات الإسلامية: وهي متعددة الرؤى ، وهي في نمو مضطرد كماً ونوعاً ، ويمثل حزب الرفاه صورة من صور التجسيد السياسي للفصيل الذي يرى الدخول في علاقة سياسية مباشرة مع قوى المجتمع.

٤- المشكلة الكردية: وبصرف النظر عن تشابكاتها الإقليمية ، فإن الخيار العسكري هو المعتمد من قبل المؤسسة العسكرية في حل الأزمة الكردية ، فالمؤسسة السياسية ليس لها خيار. وهذا سيُحمل حزب الرفاه مسؤولية الممارسة القومية النَّتنة.

٥- الأزمة الاقتصادية الخانقة: وهي غنية عن الشرح.

ثانياً: **من الإشكالات الإقليمية:**

١- الخلاف مع اليونان حول عدد من المسائل أبرزها: حقوق السيادة في بحر إيجه ، ومشكلات الأقلية التركية في اليونان.

٢- المشكلة القبرصية: حيث تواجه تركيا بسببها ضغوطاً تطالبها برفع حمايتها للأتراك في قبرص.

٣- الخلاف مع سورية على منطقة اسكندرون: وهي مشكلة نتجت عن تقسيم تركة الدولة العثمانية.

٤- مشكلة المياه مع العراق وسورية.

٥- وجود امتدادات طبيعية للأكراد في إيران والعراق وسورية ، وانعكاسات ذلك على العلاقات.

ثالثاً: **من القيود الدولية:**

١- ارتباط تركيا بعضوية الجناح العسكري لحلف شمال الأطلسي ، وما يمثله موقعها الجغرافي والثقافي المميز من أهمية في علاقة الغرب مع البلدان الإسلامية والقوى الآسيوية.

٢- الرابطة الاقتصادية القوية مع الدول الأوروبية ، ولا يخفى حرص القوى العلمانية التركية على دمج تركيا اقتصادياً وثقافياً في المنظومة الأوروبية خشية من استيقاظ الانتماء الإسلامي بقوة ، ورغبة في حل مشكلات اقتصادية مستعصية ، وقد وافقت أوروبا أخيراً على خطوة تزيد من ارتباط تركيا بها سميت « التعرفة الجمركية ».

٣- معاهدة التعاون العسكري مع الكيان الصهيوني ، والتي يقف وراءها الجيش.

وبعد: فقد رسمت صورة عامة لتطور الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة العلمانية في تركيا. وأشرت إلى عدد من العوائق والعقبات والإشكالات التي تؤثر على المعادلة التركية... لكي أصل إلى النتيجة التي أراها واقعية:

١- إن فوز حزب الرفاه يمثل اتساع دائرة المنتمين لتيار التجديد الإسلامي والمتعاطفين معهم... هذا صحيح.

٢- ولكن... ينبغي ألا يعلق التيار الإسلامي المحلي والعالمي على فوز حزب الرفاه آمالاً عريضة... بحيث يذهب الظن بكثير منهم إلى أن الحكم الإسلامي قاب قوسين أو أدنى في معقل آخر

خلافة إسلامية. فحجم النجاح السياسي للرفاه لا يؤهله لإحداث تغييرات صميمية في بنية المجتمع التركي. وهذا نقوله إذا لم نضع في الحسبان ثقل جهات داخلية وخارجية مناوئة لتوجهات حزب الرفاه... فكيف إذا اجتمع حجم النجاح المتواضع مع عوامل قاهرة في الظروف القائمة ؟!.

٣- يجب ألا يقلل الإسلاميون من قدرة القوى المناوئة للفكرة الإسلامية على المناورة والضرب... فقد يكون في تقدير بعضها الدخول مع حزب الرفاه في لعبة تبلبل الحياة السياسية ، وتورط الرفاه في إجراءات اضطرارية تطعن في مصداقيته... تمهيداً لتدخل الجيش وفرض قيود جديدة على الحياة السياسية تبعد - ولو إلى حين - شبح التيار الإسلامي من المعادلة.

إن الوضع في تركيا معقد جداً ، ولا توجد قوة سياسية قادرة بمفردها على قيادة البلاد ، والتناقضات الفكرية والمصلحية بين الأحزاب تفرض حالة من الصراع تضعف الأمة التركية ، وتقذف بها على طريق الخضوع لقوى القهر الداخلية والخارجية... فإذا وقع ما نكره فينبغي ألا نسمح لجراثيم الإحباط بالتسلل إلى نفوسنا... لأن المقدمات لا تدل على الانتصارات التي نتمناها لتركيا.